نموذج للنقـد السطحي المغرور ...

بقلم الدكتور سهيل ادريس

كان الدكتور سهيل ادريس قد ارسل الى مجلة « المسرح » القاهرية نقدا لمقال كتبه سكرتيرها الاستاذ فاروق عبدالقادر حول مسرحية « زهرة من دم » . ولكن الزميلة « المسرح » حذفت مقاطع من المقال تعتبر هامة ولذلك تنشر « الآداب » النص الكامل لرد رئيس تحريرها ، مع احتجاجها على تصرف الزميلة القاهرية .
« الآداب »

في عدد مايو الماضي من مجلة « المسرح » تناول الاستاذ فاروق عبدالقادر مسرحيتي « زهرة من دم » بما يعتبره « نقدا » لها ، ويؤسفني ان اقول انه ليس من « النقد » في شيء .

فالواقع ان ما كتبه مصاب بعدد من العاهات لا يمكن معها لاي « نقد » الا ان يسقط ميتا لا حراك به . ان فيه قدرا كبيرا من الذاتية الانفعالية والنيات المبيتة ، ومن عدم الفهم والسطحية ، ومع ذلك فهو كثير الغرور والادعاء .

ويكفي ان نستعرض بعض « نماذج » من اقوال الكاتب وآرائه حتى تثبت هذه الحقائق .

واحب ان ابدأ هذا التحليل انطلاقا من خاتمة مقال « الناقد » هذه الخاتمة التي تحمل رؤية للعمل الفدائي هي على جانب كبير من الخطر والخطورة . فالكاتب يرى ان اخطر ما تقوله المسرحية عن المقاومة هو هذه المبالغة « الاسطورية » في تقدير قوتها وما احدثته » ثم يورد مقطعا من الحوار الذي يدور بين الضابط الاسرائيلي والمجندة التي تتحدث عن قنابل رجال المقاومة العرب . وعن الرعب الذي يزرعونه في الاحياء الاسرائيلية وعن زوال الفرحة من عيون سكان اسرائيل الخ ...

ويعلق الكاتب بعد ذلك بقوله : « عظيم جدا اذن ، انمحت الهزيمة ونسيت كأنها لم تكن . انهار العدو تحت وطأة ضربات المقاومة، وتدلت عناقيد النصر فلم يعد باقيا الا ان نمد ايدينا فنقطفها» .

هذا الكلام الساخر يعني بما لا يحتمل الشك ان الكاتب لا يصدق ما ترويه الانباء، حتى من مصادر العدو ، عن أعمال المقاومةالعربية وعن الذعر الذي تحدثه بين الاسرائيليين : وهو بالتالي لا يصدق ان رجال المقاومة العرب يقومون باعمال عظيمة وبمآثر بطولية كثيرة . وهذا يعني ، في نهاية المطاف ،انه يشكك بجدوى المقاومة واهميتها . ولماذا ترانا نحاول ان نستنتج هذا من كلامه استنتاجا ؟ ألم يقل حرفيا بعد ذلك : « اننا حين نرفض المبالغة في تقدير دور منظمات المقاومة فاننا نرفض خداع الجماهير » الخ .. واذا سألناه عن هذه المبالغة اين هي في المسرحية ، فهل يستطيع الجواب ؟ هل يستطيع ان ينكر ان الاحداث التي جرت في المسرحية تصويرا لاعمال الفدائيين هي دون الحقيقة بمراحل ، وان ما يقوم به الابطال العرب الآن هو اعظم من كل الذي صورته المسرحية ؟ أليس هذا دليلا واضحا على الروح الانهزامية والشك والتشكيك في المقاومة العربية ؟ ان الصحف الاجنبية ، ولا نقول العربية ، تنشر كل يوم تحقيقات وريبورتاجات عن الفدائيين وانباء بطولاتهم وتضحياتهم ، فاذا جاء كاتب عربي يصور بعض هذه الاحداث ، وليست هي اخطرها ، فهذا ما يسوء « ناقدا » عربيا في مجلة « المسرح » حتى ليقول : « اخطر شيء ان يتسلل الى عقول الناس هذا الخدر ، هذا الوهم اللذيذ الساحر ، ان يتحقق الانتصار على الورق (على المسرح) لا على ارض الواقع الصلبة » ولكنه امر طبيعي ، على ما نعتقد ، من كاتب لا « يريد » أن يرى ما يجري على ارض الواقع الصلبة .

لا « يريد » ان يسمع ، لا « يريد » ان يصدق ان الارض العربية في فلسطين تنفجر بالبطولات ، نقول انه امر طبيعي من كاتب هذا شأنه ان يرفض تصوير هذا الانتصار على الورق (علىالمسرح) لانه بطبعه انهزامي ، متشكك ومشكك ، ولانه يعتقد ويقول بصراحة: « لا فضائل لشعب يعيش في أرض محتلة » . ان علينا ان نقف لحظة امام هذه الفكرة الخاطئة الخطرة : فهيتدلعلىانالكاتب يجرد كل شعب محتل من كل فضيلة ، لمجرد أن الاحتلال واقع عليه ، ويحكم عليه بالذل والخضوع والهوان ، وبذلك يصفع جميع حركات المقاومة في العالم ويلغي كل فضائلها ..

ولننظر الى هذه السطحية وتلك الضحالة في الفكر اللتين تدعوان الكاتب الى القول ، تعليقا على تصوير مخاوف الاسرائيليين من المقاومة : « انمحت الهزيمة ، انهار العدو تحت وطأة ضربات المقاومة » ... أليس طبيعيا ، اولا ، أن يحس محتل ما بالقلق ، بلحتى بالخوف ، من تصاعد اعمال المقاومة ؟ وهل يعني الاحساس بالقلق والخوف والانهيار بالضرورة ، ثانيا ؟ ولنفرض ، ثالثا ، انه انهار ، أفلم يسبق لمحتل ان انهار تحت وطأة اعمال المقاومة ؟ هل يستحيل استحالة نهائية ان تنهار اسرائيل اذا ظل الفدائيون العرب يستشهدون لتحرير ارضهم ؟.

ان « الناقد » يخشى « التهويل والتهوين » فيطلب الغاء الموضوع كله ، مع ان الواقع الحقيقي ، واقع المقاومة والفداء . هو اعظم من هذا الذي يزعم انه تهويل وتهوين .. والحق ان هذا الموقف مرتبط ارتباطا وثيقا « برؤية » عامة لدى الكاتب حول رسالة الادب ومهمته . وهذه الرؤية تتضح في قوله :

« نريد ان نحمي المقاومة من شر كلماتنا . فكم قلنا عن الوحدة العربية وكم زدنا (...) ولكن هذا كله لم يجدنا شيئا .. لان الفكر سبق العمل وقعد مكانه (....) العمل يسبق الفكر، الفعل يأتي قبل الكلمة ، وحين نعمل يمكن للافكار المقلوبة والمغلوطة ان تقف على قدميها وان تستعيد صدقها ..»

هذا الكلام يشي بمفهوم متخلف يدل على ان الكاتب قاصر عن ادراك حقيقة رسالة الفكر والادب ، هو يعتقد بان الفكر يأتي بعد العمل ، اي أنه يطلب من المفكر ان ينتظر وقوع الحدث ثم يتكلم، وهكذا يكون الفكر تابعا للفعل . وواضح ان هذا انكار صريح لتاريخ الفكر واسهامه . في كثير من الاحيان ، في خلق « العمل ». ومن نافل القول التأكيد بان العلاقة بين النظرية والتطبيق علاقة تبادل ،لا علاقة تبعية ، ان احدهما يغتذي من الآخر ابدا ،فيؤثر فيه بقدر ما يتأثر به ، وأقل ما توصف به رؤية « الناقد »أنها تلغي اجمل ما في رسالة الادب والفكر :مهمة الارهاص والتنبوء والتمهيد .

وبعد ، فانا افهم ان يكون مقال الكاتب معاديا ، فكريا ،للمسرحية، لان فهمه للفداء مناقض تماما لفهم المؤلف : فهو يشك فيه ويشكك بجدواه ، ويعتبر تصويره ،حتى ولو قصر هذا التصوير عن الواقع

والحقيقة ، ((مبالغة أسطورية)) ، وينكر أن يكون للشعب في الارض المحتلة حتى فضيلة المقاومة ، ثم هو يلغي رسالة الادب في ان يبشر ويمهد للعمل والتغيير . ولا نحسب هذا ((تفردا)) في الرؤية الادبية والفنية ، بل هو قصور عن ادراك جوهر الادب والفن بصورة عامة .

***

وقارىء مقال (الناقد) لا يصعب عليه ، بعد ذلك ، ان يتبين فيه روح الذاتية ، الانفعالية والنزوات الصغيرة والنيات المبيتة ،وهي اخطر عاهات تصيب ناقدا من النقاد ، لانها لا تدخل في التقييم الحقيقي للاثر ، وانما هي عنصر خارجي يقحم اقحاما على المقاييس الفنية الجادة . وقد كنت اوثر ان اعفي القارىء من التدليل على هذه الروح في مقال الكاتب ، لولا ان ذلك يلقي ضوءا كاشفا على ما يعانيه هذا ((النقد)) من تهافت واسفاف .

فهو يبدأ المقال بالتحدث عن ما يسميه ((الحفاوة)) الخاصة التي لقيتها المسرحية : فقد أجازتها مؤسسة المسرح ، ووافقت على ان تخرج في جولة الى العواصم العربية . وقد ختم مقاله بقوله: ((أي جدوى في ان نعرضها على الجماهير في العواصم العربية المختلفة)) وفي هذا الكلام روح غرور وادعاء عجيبين ! ان ((الناقد)) الفذ لا يسمح لنفسه حتى بالشك في مقاييسه الفنية والادبية ،بل يشك في ((نزاهة)) أعضاء لجنة قراءة النصوص ، وكلهم من الادباء المشهود لهم . ويستنكر قرار مؤسسة المسرح بايفاد الفرقة الى العواصم العربية ، منتقدا رأي الوزير المختص الذي هنأ اعضاء الفرقة وعبر عن اعجابه واعتزاز وزارته بهذا ((العمل الكبير)) على حد قوله ، الذي يمجد بطولة الفدائيين ، مستخفا بموافقة وزارات الارشاد والانباء في الكويت والعراق والاردن على تقديم هذه المسرحية ... اننا طبعا لا نحرم الكاتب حقه في الادلاء ، برأيه ولكن ليسمح لنا ان نطلب منه ان يشك قليلا في ذوقه الخاص وفهمه الذاتي !

ثم أنه حاقد على ((الاهتمام الكبير الذي لقيه نص المسرحية، فنشر مرتين خلال شهر واحد : مرة في مجلة ((الآداب)) واخرى في سلسلة مسرحيات عربية)) والحقيقة ان النص لم ينشر في شهر واحد ، بل أن النص الاول قد نشر في عدد ((الآداب)) الذي صدر في آخر فبراير ، ونشر النص الثاني في سلسلة ((مسرحيات عربية)) في آخر ابريل . والمهم في الامر ان النص المنشور في السلسلة يختلف اختلافا واضحا عن النص الاول ، وفيه تعديلات هامة اجراها المؤلف حين بدأ المثلون التدرب على المسرحية . فما العجيب في الامر ؟ الم يسبق لمسرحية نشرت في المجلة التي يتولى ((الناقد)) سكرتيرية تحريرها أن نشرت بعد ذلك في كتاب ، حتى ولو لم تطرأ عليها تعديلات (فكيف اذا أجريت فيها تعديلات ورؤي ان من المناسب اعادة نشرها) ؟ وهل يكون نشر مسرحية في اوان عرضها امتيازا هائلا لم تحظ به الا مسرحية ((زهرة من دم)) ؟ أم ان الناقد ، اخيرا ، مستاء أصلا من ان ينشر لكاتب (لبناني) في دار ((مصرية)) ، وهو بذلك ينضم الى آخرين من اولئك الذين تحركهم روح اقليمية بشعة لا بد من القضاء عليها ؟ (1) .

ويقول ((الناقد)) : ((ودشنت المسرحية ـ فكريا وفنيا ـ فيعددين متواليين من الآداب)) . وواضحة روح الحقد التي تكمن في استعمال كلمة ((دشنت)) ... ولعل الكاتب كان يريد ناقدا ادبيا يتحدث عن مسرح المقاومة العربي ان يسقط من حسابه هذهالمسرحية، لمجرد أن لسيادته رأيا سلبيا في المسرحية .. ثم لعله كان يريد ناقدا آخر ان يمتنع عن توضيح دلالات المسرحية بعد ان قرأها .. والحق انه لو تم ((للناقد)) ما أراد ، لما أتيح للقارىء العربي ان يقارن بين كلام سطحي متهافت كتبه فاروق عبدالقادر ، وبين محاولة للفهم والتحليل الموضوعيين كتبها سامي خشبة وفوزي فهمي..

.... وما دام ((الناقد)) قد ذكر ان المسرحية لم يتناولها كاتبجاد الا امير اسكندر في ((الجمهورية)) ، فقد كان ينبغي له ، استكمالا للحقيقة ، الا ينسى ان الدكتور شكري عياد ، وهو استاذهم جميعا، قد تناولها كذلك ، وان وصف الجدية والعمق ينطبق على رأيه اكثر مما ينطبق على كلام ((الناقد)) وكلام صديقه امير اسكندر !

ان هذه النزعة الذاتية ، المناقضة للروح الموضوعية ، هي التي تملي على ((الناقد)) تشويه الحقائق والوقائع ، وتجعله يقع في اخطاء ومغالطات من اليسير كشفها للقارىء . من ذلك مثلا وصفه لمجموعات قصصي الاولى بأنها ((تتخذ من المرأة موضوعا لها ، المرأة من حيث هي فريسة وهدف للطرد ، كلهن نساء ، كلهن خائنات وخاطئات الخ ..)) وحسب القارىء ان يعود الى هذه المجموعات ويستعرض قصصها ليحكم بان كلام ((الناقد)) يشكل تضليلا كبيرا . ومثل ذلك قوله ان الوجه المهموم بالقضايا العربية عند سهيل ادريس لا يبدأ في مطالعتنا الا في اعماله الاخيرة : رواية ((اصابعنا التي تحترق)) ومجموعته ((رحماك يادمشق)) .. فهذا ايضا تزييف للواقع . فأنا اعتز بان اهتمامي بالقضايا العربية (على ان يكون فهمنا رحبا وعميقا لمعنى ((القضية))) يرجع الى اول عهدي بكتابة القصص . فتلك المجموعات الثلاث (التي هي أعمالي الاولى ولا انكر انها ضعيفة فنيا) تضم عدة اقاصيص قومية واجتماعية. ومن العجيب الا يكتشف الكاتبالمحقق المدقق اي هم قومي او انشغال ((بالقضايا العربية)) في روايتيالاولى ((الحي اللاتيني)) .. فلئن كان مصرا على أن لا ((يفهم)) تلك الرواية ايضا ، فقد كان عليه ان يراجع ما كتبه ، عن هذا الجانب منها، اساتذته من النقاد المصريين على الاقل !

ومثل اخير من امثال الحقد الذي ينضح به مقال الكاتب هو قوله عن اعمالي الاخيرة انها أكدت عنده ان الكاتب القديم قد انشغل بنشر الادب عن كتابته)) وهذا حكم ((خارجي)) لا علاقة له بالتقييم الفني الحقيقي ، فليس مطلوبا من الناقد الجاد ان يبحثعن سبب اخفاق كاتب في اثر ادبي كتبه ، اذا كان هذا السبب غير متعلق بجوهر ادبه . ومع ذلك ، فأنا أقول اني مهتم بنشر الادب ،ولكني احاول الا يطغى ذلك عندي على كتابة الادب ، وهو حتى الآن ـ على الاقل لم يستطع ان يحول بيني وبين الكتابة . وقد حاولت ان اعرض لهذه الازمة التي اعيشها في روايتي ((اصابعنا التي تحترق)) وان أحلل بواعثها ، دون ان انتظر من ((الناقد)) ان يشير اليها ،وقد كان اجدر به ، لو أنه موضوعي وجاد ، الا يواجه الامة بهذهالروح، بل أن يبحثه بظل من التفهم والادراك . ان نشر الادب ، في رأيي، مهمة نبيلة ، وأنا اسعى الى تأدية رسالة في ذلك . فان الادباء، ولا سيما في الجمهورية العربية المتحدة ، يعرفون ان كثيرا من هذه الكتب غير رائجة تجاريا ، ولكنها هامة في تسجيل تحولات واضحة في مجرى الادب العربي الحديث . وأنا أؤكد ((للناقد)) ان كثيرا من ادباء الشباب حريصون على بقاء ((دار الآداب)) ليستطيعوا أن ينشروا فيها نتاجهم . وأرجو أن أوفق في الجمع بين الامرين ، ولم يثبت ، حتى هذه اللحظة على الاقل . اني اخفقت في ذلك . انني آمل ان اظل قادرا على الانتاج ، ولو ساء ذلك بعض الحاقدين الحاسدين !

***

واما السطحية وعدم الفهم لدى ((الناقد)) فيظهران جليا في تلخيصه للمسرحية . والواقع ان مبدأ تلخيص المسرحيات (وكل أثر فني آخر) مبدأ عقيم في ذاته . فالتلخيص الذي يكتفي بايجاز الاحداث ، ويسقط كل المدلولات والرموز ، ويهمل الوشائج التي بين

---

(1) لا بأس هنا من الاشارة الى قول ((الناقد)) الذي اوردناه من قبل : ((فكم قلنا عن الوحدة العربية وكم زدنا .. ولكن هذا كله لم يجدنا شيئا)) فأن فيه روحا من عدم الايمان بالوحدة العربية ، وبالتالي من الروح الاقليمية المتقوقعة ..

الوقائع ، ويقضي على « الجو » الاثيري الذي تخلقه الحركة المسرحية ـ وهذا هو شأن التلخيص الذي قدمه « الناقد » هنا ـ لا يمكن الا ان يشوه النص ابعد حدود التشويه .

لقد اكتفى صاحبنا بسرد « قصة » المسرحية ـ اي حبكتها ـ معلقا عليها ، في اثناء السرد ، ببعض علامات التعجب دلالة على السخرية والاستهزاء . فاذا تاب الجاسوس علق « الناقد » بعلامة تعجب (!) . واذا كان فتحي نشالا تعجب « الناقد » (!) والواقع ان « الدهشة » التي تعتبر سرا من اسرار الكشف والابداع في الخلق الادبي ، تصبح لدى كاتبنا نوعا من التسطح والسذاجة .

انه ، بعد ان يلخص الفصل الاول تلخيصا باردا . يتساءل : « هل اضعنا وقتا طويلا في التعرف على الشخصيات ؟ لكنهم اضاعوا الفصل الاول كله يقدمون انفسهم لنا .. » وهو بذلك يشوه الفصل الاول تشويها فظيعا ، لان هذا الفصل « يفرش » القضية كلها ، عبر ارتدادات وتداعيات . خلال حديث عن الطعام والمرأة والماضي ووقائع المقاومة ، ثم يطرح الحبكة باستسلام زياد ويوتر الحركة كلها تمهيدا للفصلين الاخرين .

وبعد ان يتحدث عن فادية يقول : « هذه هي فادية حين يحاول المؤلف ان يرفعها الى مستوى الرمز ! ويعتقد « نافدنا » العبقري انه أدى واجبه وقام بقسطه من النقد حين اكتفى بوضع علامة التعجب هذه ، معتقدا ان ذلك يعفيه من التحليل ، وحتى المناقشة .

ويصف « الناقد » الضابط الاسرائيلي بأنه « منهار ، جبان ، خائف » وهذا تزييف لحالة الضابط ، صحيح انه قلق ، ولكنه ، كما صورته ، ليس منهارا ، ولا جبانا ، بل هو صلب ، مؤمن بقضيته ، مدافع عنها ، وهو يحاول ان يقنع راشيل بعدالتها ، دون ان يمنعه ذلك من ان يشكو التعب والارهاق . ان هذه « الظلال » هي التي تكسب الضابط « بشريته » ولا أقول « انسانيته » ، كما هو بشري ان يحس الفدائي بالقلق ، وان يخشى الموت . لقد كنت حريصا على تصوير الابطال تصويرا بشريا يتفق والذبذبات النفسية التي يعيشها الانسان المعاصر ، فأقبل « الناقد » يشوههم كما يشاء و « يصنفهم » في فئات حاسمة الطبائع .

ونرى « الناقد » ينكر على زياد (بعلامة التعجب نفسها التي يريد ان يحملها روح السخرية) ان « يناقش » الضابط الاسرائيلي حول شرعية قيام اسرائيل ، وان يؤكد له انها قامت على الخداع والكذب ! وقد عرفنا الآن ان « الناقد » يشكك بالعمل الفدائي ، وبدوافعه ، وبنتائجه ، فليس غريبا ان يضع ايمان الفدائي بزيف اسرائيل موضع الشك .

وعلى قول زياد موجها كلامه للضابط : « إننا نعرفها شفقتكم ، شفقة دير ياسين وكفر قاسم ، ونعرفها مساعدتكم ، مساعدة وكالة الغوث والامم المتحدة » يعلق الكاتب قائلا : يمكنك طبعا ان تستمر في هذا الحوار الى ما لا نهاية . فقد انتهى الامر من زمان . لم نعد امام عمل فني على الاطلاق » .

ونحن نسأله : متى « انتهى الامر » ومتى كان قد بدأ ، ومتى بدأ ، في رأيه « العمل الفني » حتى أنه لم يعد الآن امام مثل هذا العمل ، وما هو مفهومه للعمل الفني . واين هي مناطق « الفنية » واين مناطق « اللافنية » ، وما هي معاييرها ؟ ان صاحبنا يكتفي بعلامة التعجب التي لا يمكن ان تكشف الا عن عجز مخيف وتصور في التعبير والتحليل لا يمكن للصمت ان يكون علاجا لهما .

وتعليقا على اغراء الضابط راشيل بزياد ، يقول الكاتب ان هذا « مقرف » (عفو حساسيته الرقيقة المرهفة !) ثم يقول : « مرة اخرى هذا الكليشه المقرف : ان رجال الاسرائيليين قوادون ونساؤهم عاهرات »

وانه لعجيب هذا الاصرار من « الناقد » على ان ينزه العدو الصهيوني عن كل نقيصة ، وهم مشهورون بهذه النقائص . أليست هناك مؤلفات كثيرة عن اساليب الصهيونية الاغرائية للوصول الى اهدافها ؟ الم نسمع ونقرأ كثيرا عن موقف مندوبين في الامم المتحدة غيروا آراءهم في اللحظة الاخيرة ، وحين كشف النقاب تبين ان اغراء المرأة الصهيونية لم يكن بعيدا عن ذلك ؟ أليس « الناقد » هو وحده من يشوه الواقع حين يريد ان يقنعنا بأننا نخطىء اذا صورنا العدو على حقيقته ، وأن من الافضل ، حين يكون هذا العدو غير ذي خلق ، ان نجعله ذا خلق ؟ أليس هذا هو التعسف بعينه ! او لا يعتقد سيادته ان التحرج من تصوير العدو على حقيقته وواقعه ، خوفا من ان نتهم بما يظنه « العنصرية » ، فسيقضي تدريجيا على ايماننا كله بعدالة قضيتنا ، لانه سيحملنا على التساؤل : لماذا نحارب هذا العدو اذا لم يكن ظالما ومغتصبا يستعمل مختلف الاساليب الدنيئة لسلبنا ارضنا وحقوقنا ؟

وحين يتناول الكاتب فادية يقول : « هذه التي يقول لنا المؤلف انها من اسرة عريقة في المقاومة ، ابنة واحد من ثوار ١٩٣٦ واخت قائد من فدائيي ١٩٦٧ يغمى عليها وتستسلم للاغتصاب كشاة ضعيفة لا حول لها ، كأنها تريد هذا الاغتصاب وتتمناه » .

ونجيب قائلين : أين الغرابة في ان يغمى على فتاة ترى دم خطيبها ، فتظن انه قتل فيما هي تسمع ان اخاها الذي جاءت تطالب به يعذب ؟ ايكفي ان تكون ابنة احد الثوار واخت احد الفدائيين حتى تكف عن ان تكون « بشرية » ؟ أليس عدم تأثرها بما ترى هو « الزيف البطولي » الذي يزعم « الناقد » انه سمة شخصيات المسرحية ؟ اما قوله : « وتستسلم للاغتصاب كشاة ضعيفة لا حول لها ، كأنها تريد هذا الاغتصاب وتتمناه » فيتناقض مع كونها قد اغمي عليها . فأن من يصاب بالاغماء لا يملك ان يريد او لا يريد .

ويحاول الكاتب بعد ذلك ان يشرح تصرف فادية فيقول : « انها من اجل زياد قررت ان تبحث عن دور لها تؤديه ، ومن أجل زياد أيضا جرح هشام . ومن أجل اغتصاب فادية ـ في النهاية ـ قتل فتحي ونزيه . كلها شخصيات عاجزة عن تجاوز ذواتها ، قاصرة عن ادراك الابعاد الحقيقية للعمل الفدائي » .

ويتضح من هذا الكلام ان الكاتب لم يفهم المسرحية ، ويصر على ان لا يفهمها ، بالرغم من وضوحها . انه لا يفهم ان « التضحية » هي المحور الاساسي الذي تقوم عليه الفكرة والحدث ، ايمانا من المؤلف بان الذي أضاع فلسطين هو عدم بذل القدر الكافي من التضحيات لانقاذ الارض . لقد قال نزيه ، المنظر الثوري للفدائيين : « كنا في الماضي نتحدث طويلا عن وجوب التضحية . فاذا استحق اداؤها تراجعنا . اما اليوم ، فلا بد من اداء الدين والانقطاع عن الكلام » ولذلك فان كلا من الابطال يضحي . على نحو ما ، من اجل تحرير هذه الارض التي هي « العرض » الحقيقي للانسان ، فليس ثمة عرض ولا شرف لمن فقد أرضه ، ويوم يسترد المرء الارض السليبة ، يسترد عرضه .

نقول ان الكاتب لم يفهم معنى المسرحية ، الذي فهمه جميع من تناولوها ، حين يقول ان شخصياتها عاجزة عن تجاوز ذواتها .. فاذا كانت التضحية بالنفس قصورا وعجزا عن تجاوز الذات ، فكيف يكون تجاوز الذات ؟ وما هي الابعاد الحقيقية للعمل الفدائي في رأي الكاتب ؟ اتكون غير تحرير الارض وما يتطلبه هذا التحرير من قتل العدو وبذل الروح . ام ان لديه « فلسفة » اخرى للعمل الفدائي ؟

واخيرا يلخص الكاتب الفاضل رأيه . فيرى ان « المسرحية تقول : ان العرب اشراف ومناضلون وعظام ، ورثوا البطولة ابا عن

جد ، ونقول له ان المسرحية لا تقول هذا الكلام ، ولكنها لا تقول كذلك ما يريد ان يقوله هو من ان العرب ليسوا اشرافا ولا مناضلين ولا عظاما وانه لا جدوى من مقاومتهم وانه لا ينبغي ان يصدقوا ان الاسرائيليين مغتصبون لؤما ، بلا خلق .. ويرى ان المسرحية تقول : « ان رجال العدو جبناء ومنهارون قوادون بلا خلق ، ونساؤه عاهرات يتجرن بأجسادهن » فنقول له ان المسرحية لا تقول هذا الكلام ، ولكنها لا تقول كذلك ما يريد ان يقوله هو من ان الاسرائيليين قوم ذوو اخلاق لا يلجأون الى اية وسائل دنيئة ، وان كل ما يقوله كثيرون عنهم ، ومنهم فانهورن ، محض كذب واختلاق ..

ويريد الكاتب ان يقرر ان قضيتنا مع اسرائيل ليست قضية عنصرية . ولو وقف لحظة عند الحوار الذي يجري بين الجنود الاسرائيلين والفدائيين العرب (والذي رأى المخرج ان يفتتح به المسرحية زيادة في الدلالة على دحض تهمة العنصرية) لرأى اننا نقرر قبله هذه الحقيقة البسيطة .. اما ان يفهم من قول احد الفدائيين « ان الدم العربي لا يفسد » ، انه « عنصرية جديدة » ففهم ساذج قاصر ، لانه يقف عند مدلول كلمة « الدم » على انه سائل أحمر يجري في العروق .. ولو راجع الموقف الذي يوحي للجاسوس بهذا القول ، فسيدرك ان المقصود به هو مدلول القيم والاخلاق والمثل التي يثبت التاريخ ان العرب كانوا اغنياء بها اكثر مما يظن الكاتب الذي اصبحنا نعتقد ، مما يقول ، انه لا يخلو من نزعة شعوبية .

ويرى الكاتب ان المسرحية تقول عن رجال المقاومة « انهم من رجال البورجوازية الفلسطينية سلالة الوجاهات التقليدية التي تقود المهندس الذي يعمل في المانيا وطالب الطب الذي يدرس في بيروت .. اما امهر القناصة فيقوم بدور نشال قديم . » ونحن نقول ان في رجال المقاومة بعض ممثلي هذه البورجوازية ، الىجانب مدرس لبناني وفلاح فلسطيني هو الياس (تساءل الكاتب ذات لحظة عن هويته التي كانت أصفى من عين الديك !) ولكن هذا هو الواقع اليوم ، فليس الفدائيون من البروليتاريا فقط . ولا يضير المقاومة في شيء ان ينضم اليها بعض البرجوازيين المتمردين على وضعهم ، حتى ولو عاودتهم احيانا بعض رواسب هذا الوضع ، الا ان يكون النضال عنده يجب ان يكون قاصرا على طبقة معينة . ولو اتيح « للناقد » ان يزور الفدائيين في معسكراتهم لشاهد نماذج كثيرة من هؤلاء المهندسين والاطباء والمثقفين الذين يريدون ان ينصهروا في العمل الفدائي ليعيشوا حياة جديدة غير مفروضة عليهم من طبقتهم (وهذا ما يشير اليه هشام في الفصل الاول لو اراد « الناقد » ان يفهم ، لا ان يستهزىء فحسب !) وهل يضير المقاومة بعد ذلك أن ينضم اليها حتى النشالون والخاطئون ؟ اليست مواجهة الموت من أجل قضية شريفة هي «المطهر» الحقيقي لهؤلاء كما يقول فتحي « النشال » ؟ اوليس اعتراض « الناقد » على هوية هؤلاء الابطال دليلا على مفهوم ضبابي مثالي مائع عاجز كل العجز عن ادراك المعنى الحقيقي للمقاومة في سبيل تحرير الارض ؟

ويأخذ الكاتب اخيرا على ابطال المسرحية ان ينسوا انيراقبوا الطريق .. اي انه يأخذ عليهم ان يخطئوا ، كأن هؤلاء « البشر » معصومون عن الخطأ .. وقد لام الفدائيون انفسهم على ذلك ، غير ان أم نزيه واجهتهم بقولها : « ياولادي ، لا تحملوا ضمائركم اكثر مما تحتمل . اخطئوا واصلحوا اخطاءكم » وواضح من هذا اني « قصدت قصدا » الى جعل الفدائيين يخطئون ، لاشير الى امكانية الوقوع في الخطأ . وبالتالي امكانية تصحيح الاخطاء ، حتى ولو ادت الى كوارث . ألم تقع اخطاء كثيرة في حرب حزيران أدت الى هزيمة مريعة للعرب ، وتقوم الآن محاولات جادة لعدم الوقوع ثانية في مثلها ؟ فهل نستبعد عن الفدائيين ان يرتكبوا مثل هذا الخطأ حين يذهبون الى بيت احدهم وقد أخذ الجوع منهم كل مأخذ ، وحس احدهم الى لقاء خطيبته فجامله اخوها (وهذا أيضا ضعف بشري) بالاستجابة لرغبته ؟ أليس مأخذ الكاتب هنا دليلا آخر على مفهوم مثالي للعمل الفدائي يعصمه من اخطاء التجربة ، بينما العمل الفدائي في حقيقته اوفر الاعمال تعرضا للخطأ لانه قائم على روح التضحية والبذل والمجازفة ؟

* * *

وبعد . فلست من الذين يعتقدون بان النقد فن طفيلي ، بل اني اراه رسالة نبيلة في ايدي المخلصين الواعين الموضوعيين. ولكن « النقد » الذي حاولت في هذه المقالة ان اناقشه هو نموذج لما يسمى الفن الطفيلي الذي يعيش عالة على الادب الخلاق .

ولقد كنت ارجو أن اتعلم شيئا من نقد فاروق عبدالقادر،لانني بحاجة الى الاستعادة من ملاحظات النقاد النزهاء المتعمقين . ان هذا اول عمل مسرحي اواجه به الجمهور : ولكن يبدو الآن ان ما سوف اتعلمه من الجمهور قد يكون هو العلم الحقيقي . وأحسبان الجمهور قد احب « زهرة من دم » واستجاب لها . لا بفضل المؤلف ، بل بفضل ايمان صادق لا تشوبه شائبة بجدوى العمل الفدائي ، وبان هؤلاء الابطال يملكون على الاقل فضيلة ان يموتوا لتحرير ارضهم من ربقة المحتل الغاصب ، هذا المحتل الذي يعرفون انه قوي ، بطاش ، مخيف ، ولكنهم يعرفون كذلك انه لا يتورع عن اي اسلوب دنيء لابقائهم تحت سيطرته والقضاء على مقاومتهم البطولية الشريفة .

بيروت

سهيل ادريس

●

مصادر الخلل في المرصد العراقي

بقلم غالـي شكري

ربما لا اكون مبالغا اذا قلت ان احدا في تاريخنا الادبي الحديث لم ينج من تهمة السرقة ، سواء في الفن الخالق او النقد الادبي ، من طه حسين وتوفيق الحكيم الى نجيب محفوظ ومحمدمندور وعبدالرحمن الشرقاوي ولويس عوض وغيرهم من عشرات الاسماء اللامعة في حياتنا الادبية المعاصرة . لذلك فان كلمة « الراصد العراقي » المنشورة بالعدد الماضي من الآداب لم تكن اكثر من دليل على ان هذا المرض اللعين ـ التراشق بحجارة الالفاظ بدافع احقاد

المكتبة الوطنية وفروعها

البحرين ـ الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »

شخصية – قد بات سرطانا يستعصى على العلاج . ولو كانت لدى الراصد الهمام ذرة من الشجاعة الاخلاقية لما تردد لحظة في التوقيع باسمه اذا لم يكن ذيلا لاحد ، ولما تردد في نشر كلماته المتهافتة بنفس المنبر الذي نشر مقالي ، وهو مجلة محترمة تصدر في العراق باسم ((الشعر ٦٩)) تشرف على تحريرها مجموعة جادة من الادباء الطليعيين من الشباب العراقي .

على اية حال من حق القارىء ، للاداب او للشعر ٦٩ ، ان يعرف الحقيقة . وهي ان مقالي ((صورة البطولة في شعر المقاومة)) ليس الا فصلا في كتاب لي عنوانه ((أدب المقاومة)) . وقد اتبعت منهجا موحدا في جميع فصوله بالنسبة للمراجع ، وهي ان اكتفي بذكر المؤلف او كتابه في صميم البحث مرجئا التفاصيل البيلوجرافية الى القسم الخاص بها في نهاية الكتاب .. اي انني اخليت الهوامش السفلية تماما على طول صفحات الكتاب ، وخصصت خاتمته لكافة الاستشهادات والاشارات وتفاصيل المراجع الرئيسية والثانوية على السواء .

ولقد اختل المرصد العراقي فلم ير الا مرجعا واحدا من بين المراجع التي ذكرتها في صميم البحث وهو مجلة الادب الافريقي الآسيوي ، بينما هو يستطيع ان يرى لو عالج الانفصال الشبكي في عينيه النقدية والاخلاقية انني ذكرت اسماء النقاد ((مالكوكم كولى)) و((بيتروردس)) و((كلود روا)) وهي الاسماء التي نقل آثارها للعربية عبدالوهاب البياتي واحمد مرسى .. بالاضافة الى ما تمت باختياره من قصائد مترجمة باقلام أحمد سليمان أحمد وميشال سليمان من الذين ذكرهم المرصد المختل ، ومن لم يذكرهم – لاسباب في نفس يعقوب ! – من امثال ماهر عسل وابو بكر سيف وفؤاد حداد وصلاح عبدالصبور وماهر البطوطي (وهم من خيرة المترجمين المصريين) ذلك انني لا اعتمد اذا كان النص مترجما على ترجمة واحدة له ، بل اقارن بينه وبين مختلف الترجمات وبينه وبين الاصل في وقت واحد .. حتى يخرج النموذج المقتبس في أقرب الصور الممكنة الى الاصل المنقولة عنه . ولما كان من المستحيل أن أحشد اسماء المترجمين في صميم البحث ، فقد أجلت ذلك الى خاتمة الكتاب الذي سيصدر في القريب ويقرأه من يشاء .

ولكن الكذبة تقود الى أكاذيب ، ويصيب الخلل الاخلاقي المرصد العراقي من كل جانب .. فالقصائد الفيتنامية بالذات قمت شخصيا بترجمتها ضمن كتاب عن أدب المقاومة في فيتنام عنوانه الحرفي ((الادب وحركة التحرر الوطني في جنوب فيتنام)) وليس صحيحا على الاطلاق ان هناك ترجمة أخرى لهذه القصائد .

ولو لم يكن المرصد العراقي مصابا بخلل أخلاقي مخيف لما غمز ولمز باشياء لا علاقة لها بموضوعه الرئيسي ، ولكنه بدافع من المرض السرطاني اللعين – التراشق بحجارة الالفاظ – بنى ديكورا من السباب والشتائم والتشويهات .

لقد تعرض كاتب هذه السطور لاعنف الحملات واكثرها ضراوة ، ولكن ايمانه لم يهتز لحظة واحدة بان العمل الجاد والمخلص – مهما اختلف الناس في تقييمه – يكافىء صاحبه بأثمن الجوائز ، كهذا الحب الصادق والمودة العميقة اللذين لاقيتهما – على سبيل المثال – اثناء زيارتي للعراق .. وهي المشاعر التي تجعلني موقنا من أن ((الراصد العراقي)) لا يعبر الا عن نفسية مريضة مختلة قد تكون ذيلا لاحد وقد لا تكون ، ولكنها في جميع الاحوال ليست أكثر من فقاعة هواء .

القاهرة غالي شكري

أديب الحياة

– تتمة المنشور على الصفحة ١٢ –

نعيمة اننا لو كانت لكل منا الحرية والسلطان ان يطبق على الطبيعة مقاييسه الخاصة في الحق والخير والجمال ، لبدأنا بابادة الحشرات التي تزعجنا جميعا فقتلنا البرغش والدود وانتهت بنا هذه المجزرة – والعياذ بالله ، – الى افناء جميع من يخالفنا في الرأي ، كلا يا سيدي ، الاستاذ ، والذين يسوون بين النظرة الى الطبيعة والنظرة الى البشر هم الذين يتورطون في هذا المنطق ، ولتسمح لي انه مضحك ، فنحن لا نقتل البرغش والدود وسائر الحشرات لان ذلك شيء متصل بالصراع حول الحق والخير والجمال ، او لان هذه الحشرات ترى رأيا تخالفنا فيه) .

اجدني ملفيا فيما استدللت به من فحاوي القول ميسما دامغا دالا على فن الابتسام الذي يحذقه المرحوم رئيف خوري ويجود في نسجه لحد البراعة والابداع على غرار استاذه الفاخوري .

وما الذي يبقى مما ترسم فيه الاستاذ رئيف خوري سليقة الفاخوري وتعلمه منه وظل وفيا له ، هل هو غير حب الطبيعة اللبنانية والتغني بمباهجها ، والتوق لاقامة حكم ديمقراطي في لبنان الوطن يمارس فيه لبنان الشعب حرياته ويعي حقوقه وواجباته ، حكم يجهز على انصاب الفرقة والطائفية ويطوح بأعمدة المحسوبية والوصولية والنفعية ، ولا تشمخ على التابع في ظلاله أنف متبوع او ينقسم الناس فيه بين سيد ومسود ، حكم تتعهد السلطة القائمة فيه بالتعاون مع بقية الاقطار العربية الاخرى لترسيخ مقومات القومية العربية والتطلع ليوم تتوحد فيه هاته الاقطار اذا اجمعت كلمة الامة وصح عزم ابنائها ، فلبنان ليس اقليما منفردا ، ولا هو جزء من اوروبا في مظاهر عيشه ومعالم نهضته ومصادر ثقافة ابنائه ، انما هو جزء من هذا الوطن الكبير الذي شاء الفاخوري ذات يوم ان ينعت فكرة تحوله او عودته الى امبراطورية (رجاء متضخما) .

لذا لم ين صاحب (الفكر العربي الحديث) عن المساهمة في ميدان القضية الوطنية والانتصار لقضايا الشعوب المكافحة والانتصاف للمغلبين المسودين من ظالميهم ومسترقيهم ، جاعلا من قلمه سيفا مسلطا على الطغام في كل مكان يسفه مدعياتهم ويزري بتعلاتهم ، وينصب بالتقريع على حكام الدول الاستعمارية لتدخلهم في شؤون الدول الاخرى بصورة مباشرة او بواسطة صنائعهم واجرائهم من ابنائها او المحسوبين عليها ممن يرعون مصالح اسيادهم ويفرطون بمصالح شعوبهم ، فكان من اولاء الذين لا تعوزهم المهارة والاتقان في كتابة المقالة السياسية الموسومة بقوة المنطق وسداد الحجة وعمق الفكر وصرامة الحق ، الى جانب اغتنائها بعنصر العاطفة الفائرة والاخلاص المتين والرغبة الجادة الحازمة في التنوير واضاءة معالم الطريق .

وما عسى بعد ان اقول في اعقاب هذا الغياب الحزين وانطواء سفر جهاد العظيم ، في ظرف ، كل ما فيه ، ينبي بالانسحاق وحس الفجيعة ، فهذه الامة مرزأة اليوم في صلب تطلعاتها واطماحها المشروعة الى الانعتاق والتحرر ، مفدوحة بما تقاذفها به – اسياد الاستعمار ، في دول العالم الحر ! ، من القهر والحيف واستباحة ترابة ديارها المقدسة ، وكان رئيف خوري من ابرز أبنائها الجاهدين النازعين للالواء بها عن الركون لليأس وصرفها عن الاستسلام والالحاف عليها بالتعلق بالامل والتطلع لانجلاء غاشية الاستعمار ، على غرار ما تنزع صوبه بقية الشعوب المغلبة في رحاب المعمورة ، هل غير ان الحزن يعصر النفس ويمرس الفؤاد والعزم اقصر واوهن عن دفع رزيئة واستدبار مكروه .

الحلة (العراق) مهدي العبيدي